المنسوجات الصوفية بمنطقة حمزة (البويرة) خلال القرنين 13–14هـ / 19–20م

Woolen Textiles in the Hamza Region (Bouira) during the 13th–14th Centuries AH / 19th–20t Centuries AD

1- فتيحة روان *، جامعة الجزائر2 ، معهد الاثار (الجزائر)

Fatiha.rouane@univ-alger2.dz

2- عائشة حنفي، جامعة الجزائر2 ،معهد الآثار (الجزائر)

aicha.hanafi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/04/30 تاريخ القبول: 2026/06/08 تاريخ النشر: 2026/06/13

ملخص:

عند الحديث عن تراث أي منطقة، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو الصناعات التقليدية، التي تُعدّ من الفنون الشعبية التي تعكس الصورة الصادقة لحياة الإنسان اليومية والظروف الصعبة التي عاشها. فهي تمثل عمله الذي حافظ عليه وأتقنه، ليبقى متداولًا من الأجداد إلى الأحفاد، الذين واصلوا المسيرة واحترفوا هذه المهن فأبدعوا فيها.

ومن بين الحِرف التي سجلت حضورها عبر الحقب التاريخية المختلفة في الجزائر، تبرز حرفة نسيج الصوف، خاصة في الأرياف. ونخص بالذكر منطقة حمزة (ولاية البويرة)، حيث خلّفت رصيدًا هامًا في هذا المجال، وذلك لتوفر المواد الأولية، وعلى رأسها الصوف، نتيجة انتشار تربية الأغنام. كما ساهم تنوع التركيبة الاجتماعية لسكانها، الناطقين بالعربية والأمازيغية، في إبراز ثراء العادات والتقاليد، وهو ما تجلّى في تنوع القطع المنسوجة ذات الغرز المعقودة والمحفوفة، والمزخرفة بأشكال وألوان متعددة، والمخصصة لتلبية مختلف الاحتياجات الحياتية.

***- المؤلف المرسل**

ويُعدّ هذا المجال تجسيدًا لتحدي المرأة الريفية، التي وإن لم تلتحق بمدارس الفنون الجميلة، فقد أثبتت جدارتها كفنانة مبدعة، حيث وفرت لأفراد أسرتها ما يحتاجونه من أغطية وأفرشة وملابس، مع حفاظها على هويتها الفنية الأصيلة، ونقلها هذا التراث إلى بناتها، ليظل متوارثًا عبر الأجيال

كلمات مفتاحية: المنسوجات الصوفية، الصناعة التقليدية، العادات و التقاليد ، بلاد حمزة، التراث

Abstract:

When discussing the heritage of any region, the first thing that comes to mind is traditional crafts, which are considered a form of folk art that reflects an authentic image of people's daily lives and the difficult conditions they endured. These crafts represent work that individuals preserved and mastered, allowing it to be passed down from ancestors to descendants, who continued the path, professionalized these trades, and excelled in them.

Among the crafts that have maintained a strong presence throughout the various historical periods in Algeria is wool weaving, especially in rural areas. In this context, the region of Hamza (Bouira Province) deserves particular mention, as it has accumulated a significant heritage in this field. This is largely due to the availability of raw materials—primarily wool—resulting from the widespread practice of sheep breeding. Furthermore, the social diversity of its inhabitants, who speak both Arabic and Amazigh, has contributed to the richness of customs and traditions. This diversity is reflected in the variety of woven items, characterized by knotted and edged stitches, and decorated with diverse shapes and colors, designed to meet various daily needs.

This craft also embodies the resilience of rural women, who, despite not attending formal art schools, have proven themselves to be truly creative artists. They skillfully produced essential household items such as blankets, bedding, and clothing, while preserving their

authentic artistic identity. Moreover, they transmitted this heritage to their daughters, ensuring its continuity across generations.
Keywords: Wool textiles; Traditional industry; Customs and traditions; Hamza region; Heritage.

- **مقدمة**

تُعدّ الحرف والصناعات التقليدية من أكثر المجالات وفاءً وتعبيرًا عن تقلبات التاريخ، والاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية، والتغيرات الثقافية التي شهدتها الجزائر؛ هذا البلد الذي يمثّل قلب المغرب العربي منذ أقدم العصور، حيث استقر به بشر من مختلف الأصول والثقافات، من فينيقيين ورومان ووندال وبيزنطيين وعرب وعثمانيين وأوروبيين. وتؤكد البقايا الأثرية منذ عصور ما قبل التاريخ على اختلاط هذه الثقافات وامتزاجها.

وقد اختصّت كل منطقة من هذا البلد الشاسع واشتهرت بنوع معين من هذه الحرف، التي بلغ من خلالها الإنسان درجة عالية من الإبداع في استغلال المواد الطبيعية وتوظيفها لتلبية حاجاته الناتجة عن ظروفه المعيشية وطبيعة مجتمعه.

ولعل حرفة النسيج من أبرز الصناعات التطبيقية التي تكتسي أهمية كبرى، إذ تُعدّ من بين الأنشطة التي اهتدى إليها الإنسان منذ وقت مبكر، وتدرّج في ممارستها حتى أتقنها، فصنع الخيوط من الصوف والكتان والقطن والحرير، ونسج منها ما يحتاج إليه من ملابس وأفرشة وغيرها.

وقد مارس سكان الجزائر حرفة النسيج، خاصة في الأرياف، التي أنتجت كمًّا معتبرًا من القطع المتنوعة من حيث النماذج والمواضيع. وفي هذا السياق، أشار Venture de Paradis في كتابه "الجزائر في القرن الثامن عشر" إلى صناعة الزربية – التي تندرج ضمن النسيج – في مختلف المدن والقرى الجزائرية، كما كانت الأغطية الصوفية الشائعة تُعرف بـ"الحايك"، وتُستعمل أيضًا كلباس لنساء القرى.[1]

[1] Venture de Paradis, Alger au 18 eme siècle, édité par E – fagnan, typographie Adolphe Jourdan,Alger 1898, p 18.

ومن بين مناطق الريف الجزائري الواسع والغني بالعادات والتقاليد والفنون المختلفة، تبرز منطقة حمزة (البويرة)، التي مارس سكانها حرفة النسيج وبلغوا فيها درجة كبيرة من الإتقان والجودة. ويتجلى ذلك في رصيدها الهائل من القطع النسيجية التي تعكس فنًا شعبيًا تزخر فيه مظاهر الجمال، خاصة في ظل تنوع تركيبتها الاجتماعية من سكان ناطقين بالعربية والأمازيغية، وهو ما أسهم في خلق تمايز في العادات والتقاليد، وتنوع في القطع النسيجية المنسوجة من زرابي وحنابل وبرانس وغيرها.

من خلال هذا التقديم تطرح هذه الدراسة الإشكالية الآتية :إلى أي مدى أسهمت العوامل الطبيعية والاجتماعية في تشكيل خصائص المنسوجات الصوفية بمنطقة حمزة (البويرة)، وما انعكاس ذلك على تنوعها الفني ووظيفتها داخل المجتمع الريفي؟

إن موقع المدينة في الريف الجزائري، ومناخها الذي يتميز بالبرودة الشديدة والأمطار الغزيرة، إضافة إلى تساقط الثلوج خلال فصل الشتاء، قد دفع سكانها إلى البحث عن الألبسة الصوفية والأغطية والأفرشة طلبًا للدفء، خاصة مع توفر المادة الأولية (الصوف/ثظولت) نتيجة وفرة تربية الأغنام، باعتبارها منطقة فلاحية رعوية. وقد أدى ذلك إلى تنوع منتجاتها النسيجية بنوعيها: المعقود والمحفوف.

1. المواد الخام:

لقد كانت الصناعة الصوفية منتشرة في معظم مناطق البلاد، وبالخصوص الريفية، لتوفر قطعان الماشية، وتميّزت هذه المناطق بإنتاج أجود الأنسجة الصوفية من أغطية وبرانس وحياك.[1] والنسيج والمنسوج هو عبارة عن جسم مسطح رقيق، يتكون إما من خيط واحد متشابك ببعضه البعض على هيئة أنصاف دائرية متداخلة ومتماسكة، كما هو الحال في أقمشة الصنارة (التريكو)، أو يتكون من مجموعة خيوط طويلة يُطلق عليها اسم السداة، تتقاطع مع خيوط عرضية تُعرف باسم اللحمة تقاطعًا منتظمًا، ويختلف المنسوج في مظهره تبعًا لاختلاف

[1] المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سعيدوني (ناصر الدين) و الشيخ البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، 1984 م، ص 69

تقاطع الخيوط وتركيبها (التركيب النسيجي).[1] وقد استوحى الإنسان هذه الفكرة من تشابك فروع وألياف النباتات، فصناعة النسيج والغزل من بين تلك الصنائع التي لازمت الحضارة الإنسانية منذ بدايتها، فلا تخلو حضارة من الحضارات القديمة من آثار تدل على هذه الصناعة.[2]

.1.1 المواد الأولية :

تنوعت مصادر المواد الخام الطبيعية المستعملة في النسيج بين النباتية والحيوانية، حيث توجد في الطبيعة على هيئة شعيرات أو ألياف* مختلفة، فمنها الدقيق ومنها الخشن، ووجب توفر شروط معينة فيها لتكون صالحة للنسج، كأن تكون على درجة معينة من الطول والمتانة ليمكن غزلها وتحويلها لخيوط جاهزة للنسج[3]، ومن بين هذه المواد نجد الكتان والقطن والحرير والصوف وشعر الماعز والوبر وغيرها، وقد ضمت حمزة (البويرة) موادا طبيعية شكلت الركيزة الأساسية لحرفة النسيج بها كالصوف وشعر الماعز.

- **الصوف:** هو أولى المواد التي استخدمها الإنسان في صناعة ملابسه وأغطيته وأفرشته، حيث استعمله الرومان في حياكة وصناعة أثواب التوجا[4]، كما ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: " ومن أصوافها وأوبارها و أشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين"[5]. وعرفت مدينة حمزة (البويرة) بتربية الغنم نظرا لطبيعتها المناخية الملائمة، حيث تتوفر على أعداد لا بأس بها من المواشي، فقد وجد بالجهة الجنوبية منها وتحديدا بأومال/سور الغزلان ألفا وستمائة وثمانية وثمانين (1688) رأس غنم يتميز صوفها بالنعومة، أما بالشمال بمنطقة الأخضرية فقد بلغ عدد الأغنام ألفا وثلاثمائة وثلاثة (1303)

---

[1] سعاد ماهر، النسيج الإسلامي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية 1977 م، ص 10.

[2] عبد العزيز التهامي (عائشة)، النسيج في العالم الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر 2003 م ، ص 110 .

[3] نصر إنصاف وكوثر الزغبي، دراسات في النسيج، دار الفكر العربي، 1993 م، ص 09 .

[4] نفسه، ص 68.

[5] سورة النحل، الآية 80 .

رؤوس[1] ، وحسب ما تمدنا به إحصائيات سنتي 1908 م- 1909 م، فإن غنى المراعي جعل منطقة أومال/ سور الغزلان تضم مائة وستة عشر ألفا وواحد وأربعين (116.041) رأسا، وبلغ وزن جزات الصوف 103.200 كلغ، إلا أن الأوروبيين يرون أن قامة هذه الأغنام ونوعيتها لا تمد بأي صلة للأنواع الجيدة الموجودة بمناطق الجزائر الأخرى[2] .

- **شعر الماعز:** يعتبر الماعز أقدم عنصر حيواني في شمال افريقيا مثله مثل الغنم، وينتشر في جبال القبائل ويقاوم الظروف الجغرافية والمناخية أكثر من الغنم، له شعر ذو فتلات صلبة ناعمة الملمس، ويستعمل مختلطا مع الصوف ليكسبها صلابة ومتانة أكثر، وللحصول عليه تكشط الجلود وينزع شعرها قبل عملية الدبغ بواسطة القص بالسكين[3]، وقد وجد الماعز بمنطقة حمزة (البويرة)، حيث تم إحصاء سبعة وعشرين ألفا وأربعمائة وتسعة وتسعين (27499) عنزة بأومال/ سور الغزلان مقابل ألف وتسعمائة وتسعة وعشرين (1929) عنزة بمنطقة الأخضرية[4]، و في إحصائيات أخرى(1908 و1909) بسور الغزلان بلغ العدد ستة وأربعين ألفا وثلاثمائة وستة وثمانين (46386) عنزة[5].

2. مراحل تحضير الصوف :

يمر المصدر الخام الأساسي ألا وهو الصوف عبر مراحل عديدة حتى يصبح جاهزا للاستعمال ويحول لمنسوجات تلفت الأنظار بألوانها وزخارفها المتنوعة وذلك باستعمال طرق وأدوات مختلفة.

1.2.الأدوات المستعملة :

[1] Anonyme, exposition de 1899 , les laines et l'industrie lainiere de l'Algerie, Alger, 1889,p 28 .

[2] Parres (Jh), "étude historique sur la ville d'Aumale depuis sa fondation jusqu'à nos jours," imprimerie Algérienne, Alger 1912, pp 82,83

[3] Golvin (L), les arts populaires en Algerie, T1 et T2, Alger 1953, p50 .

[4] Anonyme, Op.Cit, p 28 .

[5] Parres (Jh), Op.Cit, p 83 .

تتعدد أدوات تحضير الصوف، ولكل أداة منها وظيفة محددة تؤديها في مختلف مراحل المعالجة. ومن أبرز هذه الأدوات **المقص**، وهو آلة حادة تُستعمل في جزّ صوف الأغنام، ويُعرف محليًا باسم "**انتولسة**" أو "**لمقص انوولي**". كما يُستعمل **المشط**، الذي يبلغ طوله حوالي سبعين سنتيمترًا (70 سم) وعرضه عشرين سنتيمترًا (20 سم)، وتحتوي إحدى نهايتيه على أسنان يصل ارتفاعها إلى عشرين سنتيمترًا، ويُعرف محليًا بالمندالة أو "إيمشظ."

أما **المحلج**، وهو أداة خشبية، فيتكون من قطعتين منفصلتين مزودتين بأسنان على شكل مسامير صغيرة؛ حيث يوضع الصوف على القطعة الأولى، ثم تُطبّق عليه القطعة الثانية، ليُحلج عن طريق حركة الأخذ والرد، ويُعرف محليًا **بالقرداش أو "أقرذاش"**. ومن بين الأدوات كذلك **المغزل**، وهو أداة خشبية تختلف مقاساتها بين الصغير والكبير، ويحتوي على زنار في نهايته يُستعمل لتثبيت الخيوط أثناء عملية الغزل. تقوم المرأة بواسطته بتحويل الصوف المحلوج إلى خيوط رفيعة، ويُعرف محليًا بالمغزل أو "إزضي". وأخيرًا، يُستعمل المشط الضرّاب، وهو مشط صغير يُحمل باليد، يضم أسنانًا حديدية في نهايته، تُسوّى به الخيوط الصوفية بعد نسجها عن طريق ضربها، حتى تصبح القطعة النسيجية مستوية ومتناسقة، ويُعرف محليًا بالخلالة أو "ثايازيلط."

2.2. التحضير:

يسبق تحضير الصوفَ عمليةٌ دقيقة عُرفت منذ الأزل، وهي عملية الجزّ، التي يقوم بها الرجل، وتشهد تعاون الأهل والجيران في إطار ما يُعرف بالتويزة/ تيويزي. وتتم هذه العملية في فصل الربيع بعد سقوط الأمطار، حيث تساعد هذه الأخيرة على الحصول على صوف رقيق وكثيف وناعم[1]. وتتطلب هذه العملية يدًا عاملة ماهرة تستعمل آلة حادة تُعرف بالمقص، حيث يُربط

[1] Ricard (P), le travail de la laine à Tlemcen, Alger, p 13.

الخروف من رجليه ويُلقى على الأرض، ليبدأ الجزّ من الأسفل وينتهي عند الظهر. كما يُحرص على ترك جزء من الصوف على ظهر الخروف حتى لا يتعرض لضربة شمس أو شدة البرد[1].

بعد ذلك تأتي عملية الفرز، وتقوم بها المرأة، حيث تفصل كل جزة عن الأخرى، [2]فتضع الصوف ذا الألياف الطويلة في جهة، وذا الألياف القصيرة في جهة أخرى، كما تُفرزه حسب الألوان، لتحصل في النهاية على عدة أنواع. ويختلف نوع الصوف المخصص لحياكة النسيج الخفيف، كالبرانس، عن النوع المعد لصنع خيوط السداة ونسج المنسوجات الخشنة.

ثم تأتي عملية الغسل، التي قد تتم في البيوت أو في الوديان، حيث تستعمل المرأة الماء البارد أو الساخن بعد تنقية الصوف من الأتربة والأوساخ العالقة به. وقد استعملت نساء مدينة حمزة (البويرة) مادة الرماد في غسل الصوف، حيث يُخلط بالماء ليعطي رغوة شبيهة بالصابون تُستعمل لإزالة الأوساخ. كما استُعملت نبتة تُعرف محليًا بـ"ثلوقيث" عوضًا عن الصابون، إضافة إلى نبتة أخرى تُعرف بـ"تقشقيشت"، حيث توضع جذورها في الماء صباحًا أو مساءً، ثم يُغسل فيها الصوف ليصبح نظيفًا وذا لون أبيض.

بعد ذلك تأتي **عملية التبييض**، التي تسبق مرحلة المشط، حيث استُعملت عدة مواد، من بينها مادة الشب، التي تُذاب في الماء ويُبلل بها الصوف لتبييضه. كما استُعملت جذور نبتة الصابونية*، التي تُسحق وتوضع في الماء الساخن، فيُغمس فيها الصوف ثم يُشطف ويُعصر[3]. واستُعمل الجبس أيضًا، حيث يُذاب في الماء فوق النار مع التحريك، ثم تُغمس فتائل الصوف في

[1] حنفي (عائشة)، الزرابي الجزائرية في القرن 19 م، مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية، دراسة أثرية فنية، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، الجزائر، 1999 م- 2000، ص ص 55-56.

[2] Gaudry (M), la femme Chaouia de l'Aures, Paris, 1928, p 173

[3] Chantreux (G), » le tissage sur métierde haute lisse à Ait Hichem et dans le haut Sébaou »,in Revue Africaine, Alger 1941, pp 94-95.

محلوله وتُترك حتى تجف، وبعدها تُفرك بين اليدين لإزالة بقاياه.[1] كما شاع استعمال مادة الكبريت لتبييض الصوف، وذلك بحرقها وتعريض الصوف المغطى لبخارها المتصاعد.[2]

أما عملية المشط، فيُنظَّف من خلالها الصوف من البقايا العالقة به، حيث تأخذ المرأة كمية قليلة من الصوف وتمررها بين أسنان المشط الحديدية، ثم تقوم بجذبه ولفّه. وبعد ذلك يُوضع الصوف ذو الألياف الطويلة جانبًا ليُخصص لغزل السلسلة أو الشبكة(la chaîne) ، في حين أن الصوف ذو الألياف القصيرة، الذي يعلق بين أسنان المشط، يُحلج ويُخصص للحبكة (la trame).[3]

بعد مرحلة المشط، تشرع المرأة في عملية الحلاجة، حيث تأخذ جزءًا من الصوف وتضعه على القطعة الأولى من المحلج، ثم تُطبّق عليه القطعة الثانية، وتبدأ بتمريرها ذهابًا وإيابًا عدة مرات، إلى أن تتحصل على صوف ناعم وخفيف. بعدها تُنزع هذه اللفائف من جزئي المحلج وتوضع جانبًا تحضيرًا لعملية الغزل، [4]التي تتطلب مهارة وإتقانًا.

ويتم غزل الصوف ذو الألياف الطويلة بواسطة المغزل(**therouka**) [5] ، أما الصوف ذو الألياف القصيرة فيُغزل باستعمال مغزل خشبي أكبر حجمًا. وتعكس هذه العمليات والتقنيات المختلفة خبرة المرأة ومهارتها في التعامل مع هذه الحرفة التقليدية.[6] ويمكن إضافة خامات أخرى

---

[1] حنفي (عائشة)، المرجع السابق، ص ص 63-64.

[2] Golvin (L), Op-Cit, p 65.

[3] Gaudry (M), Op-Cit, p 176.

[4] Ibid, p 177.

[5] therouka: يعرف بالروكة وهو عبارة عن قصبة يتراوح طولها مابين 70 و80 سم، محفورة في أحد أطرافها وعمق هذه الحفرة حوالي 5 سم

[6] Liorel (J), la Kabylie du Djurdjura, Ernest Leroux éditeur, Paris, p 520

للخيوط الصوفية كشعر الماعز الذي يعطي للخيوط قوة وصلابة، وعند إنهاء عملية الغزل تلف الخيوط وتضم لتكون شكل كبة[1].

3.2. الصباغة:

تعد الصباغة من أهم العمليات التي تطبق على الصوف بهدف زيادة جمال القطع، وكانت الأصباغ تستخرج من الطبيعة[2]، وتتشكل من ثلاثة عناصر نباتية وحيوانية ومعدنية.

فأما **النباتية** مثل **النيلة** (Indigo) المادة الزرقاء التي شاع استخدامها في صباغة الصوف والقطن والكتان[3]، و**الزعفران** الزهرة ذات الحجم الصغير والرائحة الزكية، وهي صبغة ذهبية قوية ومركزة[4]، و**قشور الرمان**(écorce de grenade) وهي رخيصة الثمن تعطي اللون الأصفر المائل للخضرة، و عند إضافة نباتات أخرى لها تعطي ألوانا متعددة كالبرتقالي والبني والأسود[5]، كذلك **الفوة** (garance) وهو نبات بري يقطفه الرجال، تستخرج منه مادة صبغية حمراء اللون[6]، و **الكركم** أيضا عند سحقه يعطي اللون البرتقالي ويستخدم للحصول على اللون الأصفر بدرجاته[7]، أما **الحناء** فتعطي لونا برتقاليا جميلا مقاوما جدا[8]، و قد استعملت نساء مدينة حمزة(البويرة) جل هذه المواد السالفة الذكر في صباغة النسيج كباقي سكان مناطق البلاد واختصوا طبعا ببعض المواد المحلية، حيث نذكر منها: **لرجاقنو** وهي نبتة ذات أزهار صفراء، تعطي اللون الأصفر و **ثسولة** التي تعطي اللون الوردي، كذلك **وجذيم** تعطي اللون الأبيض، أما

---

[1] Chantreaux (G), Op-Cit, pp 91-100.

[2] جودت (عبد الكريم)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و4 هـ- 9 و 10 م، الجزائر 1992 م، ص 96 .

[3] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق ص 146 .

[4] نفسه، ص149 .

[5] نفسه ، ص 150 .

[6] Chantreaux(G), op.cit, p 102.

[7] عائشة عبد العزيز التهامي، المرجع السابق، ص 149 .

[8] حنفي (عائشة)، المرجع السابق، ص 74

جحفوظ فهي زهرة تعطي اللون الأحمر تكون عل نبتة تعرف ب " وحرير" وهي زهرة شقائق النعمان.

أما **الأصباغ الحيوانية** فاستخلصت من بعض الحشرات أو الأسماك لتعطي ألوانا عديدة استخدمت في صباغة الصوف والحرير والقطن مثل **الكوشنيلة** (cochenille) تلك الحشرة التي تعطي اللون الأحمر ويؤتى بها من المكسيك[1]، **و الدودة القرمزية** (Quermez) وهي من الحشرات التي تحتوي إناثها على المادة الفعالة لإنتاج هذه الصبغة، إذ تسحق بعد جفافها وتعطي اللون الأحمر الأرجواني الذي يتميز بثباته[2]، أما **المريق** (التريان) فهو ضرب من الأسماك ذات الغطاء الصدفي، يحصل من خلالها على ألوان متعددة عند خلطها مع أملاح النحاس والحديد، وهي من أغلى الصبغات ذات اللون القرمزي[3]. وأخيرا **الأصباغ المعدنية** التي عمل المسلمون على استخلاصها من معدن الزرنيخ الأصفر ومعدني أكسيد الزئبق الأحمر والزرنيخ الأحمر[4]، والمغرة **(ocre)**[5]، والشب الذي يثبت الأصباغ فتبقى لمدة أطول ولا تتغير[6].

3 . تقنيات الصناعة

بعد الانتهاء من تحضير الصوف وصبغه، يصبح جاهزًا لعملية النسج، حيث تُحوَّل الخيوط الصوفية إلى منسوجات متنوعة تشمل الألبسة والأفرشة والأغطية. ولتحقيق ذلك، كان لا بد من اعتماد تقنيات صناعية مختلفة، واستعمال آلة خاصة تُعرف بالنول العمودي. وقد سُمّي بهذا الاسم لأن خيوطه تُشد بطريقة عمودية، وهو من أقدم أنواع الأنوال، إذ يعود ظهوره إلى

[1] حنفي عائشة ، المرجع السابق، ص 73 .

[2] عبد العزيز التهامي(عائشة)، المرجع السابق، ص 150 .

[3] Lombard (M), les textiles dans le monde Musulmane du 7 eme au 12 eme siecle,Paris,Lahaye, New york 1878, p 118.

[4] عبد العزيز التهامي(عائشة)، المرجع السابق، ص 153.

[5] Golvin (L), op.cit,p 92.

[6] Bel(A) et Ricard (P), le travail de la laine à Tlemcen, libraire de l'université, Alger1913,p 147.

عصور قديمة، حيث استُعمل من طرف المصريين القدماء والإغريق. ولا يزال هذا النوع من الأنوال مستعملًا إلى يومنا هذا في مختلف مناطق البلاد، خاصة في الأوساط الريفية.[1]

فالمنسج، أو ما يُصطلح على تسميته في منطقة حمزة (البويرة) بـ"السداية/ أزطة"، يُعدّ جزءًا من أثاث المنزل، ويتوفر لدى معظم السكان. ويتكوّن النول من أربع قطع خشبية، اثنتان منهما تُعرفان بالعمودين القائمين، والأخريان تُعرفان بالعمودين الأفقيين.[2]

وإضافة إلى ذلك، يضمّ المنسج بعض القطع الثانوية، مثل "النيرة"، وهي قطعة خشبية ترتكز على جدران البيت أو سارية الخيمة، كما يحتوي على عدد من عصيات القصب (إغونام)، والمداد الذي يُعرف بالجباد.

يسبق تركيب النول العمودي عمليةُ التسدية (أزيزل)، وهي تتم بغرس وتدين في الأرض، بحيث تُحدَّد المسافة بينهما بحسب طول القطعة المراد نسجها. وتقف بجانب كل وتد امرأة تمسك بيدها خيطًا مزدوجًا مجدولًا يُعرف بالسفاحة، وتتبادل النسّاجات فيما بينهن كرة الخيط (القيام/ إيذ). وإذا استدعت الضرورة، تُستدعى امرأة ثالثة لتقوم بتمرير الخيط بين المرأتين بالتناوب، حتى يتم لفّه حول الوتد المغروس أمامهن.

وتتم هذه العملية من اليمين إلى اليسار، حيث يُؤخذ بالتناوب خيط من الخيوط المجدولة بهدف تثبيت خيوط التسدية على مسافات متساوية. وعند الانتهاء، يُنزع الوتدان المغروسان في الأرض، ويُركَّب النول لتبدأ بعد ذلك عملية النسج.

وتختلف تقنيات النسج باختلاف نوع القطعة؛ فالزربية ذات الغرز المعقودة تُنجز بعقد خصلات الصوف على خيوط السدى، وكلما تم عقد صف، تدفعه الناسجة نحو الأسفل لينتظم مع صفوف العقد المشكلة.[3]

---

[1] Chantreaux (G), Op-Cit, p 106.

[2] Ibid ;p 114

[3] حنفي (عائشة)، المرجع السابق، ص ص 89- 90

أما نسج القطع المحفوفة، فيتم بتمرير خيط بسيط بين خيوط السدى، ثم يُضغط عليه بواسطة (الخلالة/ ثايازيلط). وتمثل خيوط السدى الهيكل الذي تُحاك عليه المادة الصوفية الملوّنة، ويجب أن يكون هذا الهيكل متينًا في جميع أجزائه حتى يكون النسيج مستويًا ومتماسكًا. لذلك، تتطلب هذه العملية قدرًا كبيرًا من الصبر والتعلم الجيد، حتى يتمكن المتعلم من إتقان النسج بالطريقة المثلى والتخلص من رهبة الممارسة[1].

4. أساليب الزخرفة

تختلف طرق تنفيذ الزخارف من قطعة إلى أخرى، سواء كانت محفوفة أو معقودة، حيث وُجدت أساليب بسيطة وأخرى معقدة نُفِّذت على الأفرشة والأغطية وكذا الألبسة. ومن بين هذه الأساليب نذكر: زخرفة التضليعات، وهي تقنية تعود إلى أقدم العهود، يتم تنفيذها باستعمال عدة ألوان في القطعة الواحدة، وتتوفر نماذج عديدة من هذا النوع من النسيج، منها الخشن ومنها الرشيق، كقطع الحايك الرشيقة[2].

أما الزخرفة بالطرز، فهي الأخرى من أقدم الأساليب، ويعود ذلك إلى رغبة المرأة في الحصول على منسوجات جميلة ومزينة بمختلف الأشكال. وتُنفَّذ هذه التقنية بواسطة إبرة الخياطة، باستعمال خيوط حريرية متعددة الألوان، وغالبًا ما تكون مادة التطريز أغلى من المادة التي صُنع منها القماش[3].

وأخيرًا، الزخرفة بالإضافة، حيث تُنجز هذه التقنية بإضافة قطع صغيرة من النسيج إلى مساحة أكبر تختلف عنها من حيث المادة واللون، وذلك من خلال تثبيتها بإبرة الخياطة[4].

---

[1] Delaye (A), notions pratiques de tissage manuel sur métier à hautes lisses, Alger 1928, p 87.

[2] Ibid , pp 122- 123.

[3] ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر 2001م، ص 243 .

[4] نفسه، ص 245.

5. منسوجات منطقة حمزة (البويرة)

تزخر هذه المدينة بموروث حضاري ضخم، خلّفه الأجداد والآباء وتناقلوه عبر فترات زمنية مختلفة، حيث يعكس هذا الموروث تراث المنطقة ويجسّد تاريخها. وتُعدّ حرفة النسيج جزءًا مهمًا من هذا التراث الحرفي، ومنه:

1.5. الزربية:

إن أصل لفظ "زربية" فارسي، وهو"Zirpa" ، ويُقصد به ما يوضع تحت القدم. وإذا أُخذ هذا التفسير بعين الاعتبار، يمكن القول إن استعمال الزربية ارتبط أساسًا بوظيفتها الأرضية.[1]

ونظرًا لكون الزربية أثاثًا ضروريًا ومهمًا في كل بيت، فقد كانت الزرابي المعقودة تُنسج من الصوف الممزوج بشعر الماعز لضمان متانتها وطول مدة استعمالها، ويتم نسجها على المنسج العمودي.

وقد تميّزت الزرابي ذات الغرزة المعقودة بخشونتها وشدّتها، حيث تُنسج بخيوط سدى تتكون من شبكة واحدة أو شبكتين، وعُرفت في مدينة حمزة. وزُيّنت هذه الزرابي بأشكال هندسية متنوعة، مثل الخطوط المنكسرة والمعينات، إضافة إلى المستطيلات والمربعات والمثلثات والأطباق النجمية وغيرها من الزخارف. أما الألوان المستعملة، فيغلب عليها اللون الأحمر لكونه أكثر ثباتًا، إلى جانب ألوان أخرى كالبرتقالي والأخضر والنيلي والوردي والأسود والأصفر (الصورة رقم 01).

كما نجد نوعًا آخر من الزرابي، وهو النسيج المحفوف، الذي يُنسج على غرار الحنبل (الحايك)، باستعمال الصوف الطبيعي المصبوغ بألوان متعددة كالأحمر والأزرق والأصفر والأبيض والأخضر والوردي. وكانت هذه الزرابي تُزخرف بأشكال متنوعة، مثل المعينات والخطوط المنكسرة البسيطة والمركبة، إضافة إلى الأطباق النجمية، وتُنجز هذه الزخارف عن طريق العد (الحساب)، حيث تستوحي الحرفية تصاميمها من محيطها ومن معتقداتها الخاصة. وتُفرش هذه الزرابي في البيوت بشكل يومي لدى ميسوري الحال، وفي المناسبات والأعياد لدى عامة الناس.

[1] حنفي (عائشة)، المرجع السابق، ص 19.

كما تمتاز بخفتها مقارنة بالزرابي المعقودة، نظرًا لكونها نسيجًا محفوفًا لا يتطلب نفس كمية الصوف. ويُعرف هذا النوع بشكل واسع لدى السكان الناطقين بالأمازيغية، في حين يُطلق عليه السكان الناطقون بالعربية في منطقتي سور الغزلان وديرة اسم "تسفيلت" أو "زربية الأرض". كما تحيكها نساء قرومة بالأخضرية، وقد اكتسبت شهرة واسعة، حتى نالت مراتب متقدمة وطنيًا في عدة مناسبات، منافسةً أنواعًا أخرى من الزرابي (الصورتان 02 و03).



صورة 1 زربية الغرز المعقودة





الصورة رقم 2 و3 : الزربية المحفوفة

2.5. الحايك

ويُسمّى كذلك بالحنبل، ويُعدّ من أهم الصناعات النسيجية المنتشرة في المنطقة. يُنسج من الصوف الطبيعي المأخوذ من الأغنام، ويُصبغ بألوان متعددة بغرض الزخرفة. ويتطلب نسج

الحنبل (الحايك) مهارةً ودقةً عاليتين في العدّ والحساب، من أجل توزيع العناصر الزخرفية بانتظام. وتوجد بعض الأنواع من الحنابل تُنسج بطريقة بسيطة، لا تحتوي على عناصر زخرفية مركبة، بل تقتصر على أشرطة ملونة تُعرف محليًا بـ"الزيقات/ إشريظن". وقد تعددت تسميات الحايك في منطقة البويرة بحسب زخارفه؛ فالحايك الأبيض الخالي من الزخارف يُعرف باسم "أخلال"، ويُخصّص غالبًا للعروس. أما الحايك ذو الأرضية البيضاء المزينة بخطوط ملونة بسيطة، فيُعرف باسم "فوطويل" أو الحايك المزيّق. كما يُعرف الحايك الذي يضم أشرطة ملونة بكثرة باسم "أعذيل"، في حين يُسمّى الحايك الذي يحتوي على أشرطة مزخرفة بأشكال متعددة، كالخطوط المنكسرة وأشكال أدوات النسج، في منطقة عين العلوي بـ"الحايك المرقم" أي المزيّن.

أما منطقة آيت لعزيز، فتتميّز بإنتاج أنواع جميلة ومتنوعة من الحايك، تختلف تسمياتها بحسب زخارفها وطريقة تشكيلها؛ فنجد "حايك المشروك"، وسُمّي بذلك لتداخل خيوطه الملونة وتشابكها لتشكّل الزخارف. كما نجد نوعًا آخر يُعرف بـ"حايك إمروزن"، نسبةً إلى زخارفه التي تتخذ شكل خطوط مسنّنة، بالإضافة إلى "حايك نرقم"، حيث يدل لفظ "الرقم" على الزينة.

وفي منطقة آث يعلى، يشتهر نوع آخر يُعرف بـ"حايك ثمشرك". أما حواف الحايك، فتكون بسيطة، وتتمثل في بقايا خيوط النسيج التي تُعرف محليًا بـ"الشراشب/ تشرورين" (الصورتان 04 و05).



الصورة 4: حايك فوطويل



الصورة 5 : حايك المشروك

أما بمنطقتي عين بسام والهاشمية فيعرف فيهما بحايك الملقوط المسحون و معناه المحفوف أو المسطح لأنه يوجد نوع آخر من الملقوط يعرف بملقوط العقدة الذي تنسج به البسط و الوسادات (الصورتان 06 و 07).



الصورة 6 : الحايك المرقم



الصورة 7: حايك الملقوط المسحون

3.5. البرنوس (أبرنوس)

حظي البرنوس بمكانة مرموقة لدى سكان حمزة (البويرة)، وشهدت صناعته اهتمامًا واسعًا وإقبالًا متزايدًا. ويُعزى ذلك إلى عدة عوامل، من بينها برودة الطقس خلال فصل الشتاء، مما جعله لباسًا شائعًا لدى السكان، إضافة إلى سهولة توفر الصوف كمادة أولية، وهو ما ساهم في انتشار هذه الحرفة بشكل كبير. ولا يفوتنا أن نذكر أن البرنوس يحتل مكانة خاصة في نفوس سكان هذه المنطقة الريفية، إذ دأبوا على ارتدائه يوميًا وفي مختلف المناسبات، سواء الدينية أو الوطنية، وكذلك في جلسات الصلح وعقد القران.

كما ترتديه العروس عند خروجها من بيت أهلها باللون الأبيض، ويزفّ العريس إليها وهو يرتديه أيضًا، فضلًا عن حضوره في عروض الفروسية (الفنطازيا).(الصورة 8)



الصورة 8 : طريقة ارتداء البرنوس

4.5. ثحايكت (أشواو أمعمر): هي قطعة صوفية مستطيلة الشكل، تغطي الظهر وتصل إلى الكعبين، وتُسدل على الكتفين نحو الأمام حتى مستوى البطن، ثم تُشدّ بحزام صوفي عند منطقة الخصر، مما يجعل وسط الجهة الأمامية للجسم مكشوفًا، فيظهر من خلاله الفستان الذي ترتديه المرأة. وكانت "ثحايكت" تُستعمل من طرف المرأة كواقٍ من البرد خلال فصل الشتاء، وهي معروفة في منطقة "أهل القصر" بالبويرة.

وتشبه هذه القطعة في شكلها "تاجديث"، وهو الرداء الخاص بالمرأة الريفية في المناطق الداخلية والهضاب العليا، بما في ذلك المرأة الشاوية.[1] وتُقبل نساء "أهل القصر" على صناعتها من الصوف الأبيض، ثم تُصبغ باللون الأسود. تستعملها المرأة المسنة (العجوز) بسيطة وخالية من الزخارف، أما العروس فتستعملها ابتداء من يوم عرسها وتلازمها دوما كدليل للمرأة المتزوجة، وفي هذه الحالة تطرز باليد بواسطة خيوط حريرية مختلفة الألوان كالأحمر والأصفر والأخضر وغيره من الألوان، تشكل المواضيع الزخرفية فيها من وحي خيال المرأة وكذا مما تحياه يوميا، حتى أن هذه القطعة النسيجية (ثحايكت) كانت تعتبر بمثابة مرسول تبعثه المرأة لأمها تحكي فيه ما تعيشه في بيت زوجها (الصورة رقم 09 و10 و11).



الصور 9و10 و11 : ثحايكت/ أشواو أمعمر

[1] Gaudry (M), Op-Cit, p 35.

5.5. نسيج الملقوط :

يعرف بهذا الاسم لأن زخارفه أورسوماته كانت تلتقط من بعض السجادات التي كانت تجلب من المشرق أثناء أداء فريضة الحج، وبالتالي فإن هذا الرسم الملتقط يعرف باللقطة.

وقدعرف ملقوط العقدة بالبويرة منذ وقت طويل، حيث ينسج مثل الزربية (بالغرز المعقودة)، ويجسد من خلاله على القطع النسيجية عدة مواضيع زخرفية آدمية وحيوانية ونباتية وأحيانا هندسية (الصور112و13و14).

فالزخارف الآدمية تتمثل في صور الأطفال والنساء والرجال، أما الزخارف الحيوانية فتظهر بكثرة في تصوير الغزلان والحمام وغيرها من الحيوانات. وبالنسبة للزخارف النباتية، فتتمثل في الأزهار والورود والأشجار وأوراق النباتات، إضافة إلى بعض النباتات المتسلقة كاللَّوّاي.

وأخيرًا، نجد الزخارف الهندسية، التي تتجلى في أشكال متنوعة، مثل المعينات والمستطيلات وغيرها من الأشكال الهندسية المختلفة. ويُعدّ "**ملقوط العقدة**"، كما هو معروف، نسيجًا يقل سمكه عن سمك الزربية ذات الغرز المعقودة، كما تتميز منسوجاته بخفة وزنها مقارنة بالزربية. وقد عُرف هذا النوع من النسيج في بعض مناطق مدينة حمزة (البويرة)، خاصة في الجهتين الغربية والجنوبية، نظرًا لملاءمة أراضيها لتربية أعداد أكبر من قطعان الأغنام مقارنة بالمناطق الشرقية.

وتختلف مدة حياكة منسوجات الملقوط باختلاف مقاسات القطعة المراد نسجها؛ فمدة نسج الوسادة لا تعادل مدة نسج **البساط(Tapis)** ، كما أن ظروف المرأة الناسجة، من حيث انشغالها بالأعمال اليومية وتربية الأبناء تؤثر بشكل مباشر في تحديد مدة الحياكة.

أما فيما يخص المادة المستعملة، فقد كان صوف الأغنام هو المادة الأساسية، ثم أصبح يُستعمل لاحقًا الصوف الاصطناعي، الذي يُباع جاهزًا في المحلات والأسواق، ويُخصّص غالبًا لنسج السترات الصوفية، ويُعرف بـ"صوف التريكو". ويتوفر هذا النوع على شكل كُبّات متعددة الألوان، ويمتاز بخفته مقارنة بالصوف الطبيعي.

وبالنسبة للمواضيع الزخرفية المطبقة على هذه المنسوجات، فحسب بعض الحرفيات، كانت الزخارف تُستوحى من السجادات أو البُسط التي كان يجلبها الحجاج من المشرق، خاصة من

الحجاز. حيث تُقلب هذه القطع النسيجية على ظهرها، وتقوم الحرفية بعدّ الغرز بدقة لتتمكن من إعادة تشكيل نفس الزخارف على القطعة التي تنسجها. وقد تنوعت الألوان المستعملة بين الأحمر والأبيض والأسود وغيرها، حيث تُلوَّن أرضية القطعة بلون يغلب عليها، ثم تُوزع العناصر الزخرفية، مثل الأزهار والورود والأوراق، بألوان مغايرة. وفيما بعد، ظهرت كتيبات تحتوي على نماذج جاهزة لهذه الرسومات، فكانت الحرفيات ينقلنها بنفس الطريقة، أي بالاعتماد على العدّ والحساب، لتطبيقها على القطع النسيجية.



الصور(12 و13 و14) : زخارف آدمية وحيوانية ونباتية

لقد خلّفت الحرفيات الماهرات قطعًا نسيجية في غاية الروعة والإتقان تخص هذا النوع من النسيج (الملقوط). وتمتاز هذه القطع بخفتها، كما أن الصوف الاصطناعي المستعمل فيها يحتفظ بلونه حتى بعد الغسل ومرور فترة طويلة، بخلاف الصوف الطبيعي الذي قد يتأثر مع الزمن. غير أن هذا التحول أدّى إلى فقدان المادة الطبيعية، التي استُبدلت بالمواد الاصطناعية.

6. الدلالات الرمزية لزخارف منسوجات حمزة (البويرة):

من خلال الزخارف والألوان المطبقة على منسوجات منطقة البويرة، والتي شكّلت مواضيع متنوعة، يمكن القول أن الحرفيات في هذه المنطقة قد عملن على تزيين المنسوجات بمختلف أنواع الزخارف والألوان، المرتبطة بمدلولات ومعتقدات خاصة. كما أن تعدد وتنوع هذه المواضيع الزخرفية أكسب القطع النسيجية ثراءً فنيًا مميزًا.

ومع ذلك، لا يمكن الجزم بسيطرة عنصر زخرفي معين على غيره، إذ تحمل الزخارف الهندسية دلالات رمزية نابعة من معتقدات المجتمع المحلي البسيط. ويُفسّر ذلك التأثر بالفن الأمازيغي الأصيل ذي الطابع الإسلامي. كما أن هذا التنوع الزخرفي أسهم في تعزيز القيمة الفنية لهذه المنسوجات، وعكس فنًا عريقًا ذا جذور عميقة، يعكس أصالة المدينة وتراثها.

- **الخاتمة**

في ختام هذه الدراسة، نكون قد توصّلنا إلى إبراز الأهمية الاجتماعية والفنية لهذا النوع من الفنون التطبيقية، حيث سلطنا الضوء على حرفة تعود نشأتها إلى زمن بعيد، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالحياة الاجتماعية السائدة في المنطقة. وقد كشفنا عن تركيبتها الاجتماعية، المتمثلة في سكان ناطقين باللغتين العربية والأمازيغية، الذين مارسوا هذه الحرفة المعتمدة على مواد أولية طبيعية ذات مصدر حيواني، كالصوف وشعر الماعز.

وقد كانت هذه المواد تُحضَّر يدويًا باستعمال أدوات ووسائل محلية الصنع، تتعدد تسمياتها بتعدد ألسنة السكان. وبفضل جدّ المرأة الريفية وكدّها، وإتقانها لعملها الذي مارسته بكل مهارة واهتمام، تمكّنت من تحويل هذه المواد إلى منسوجات ذات استعمال يومي، تلبي حاجات أسرتها، وتُزيَّن بأساليب متنوعة، مشكلة بذلك مواضيع زخرفية متعددة، كالهندسية والنباتية والآدمية والحيوانية، إضافة إلى الزخارف ذات الدلالات الرمزية المرتبطة بالعادات والتقاليد والبيئة المحيطة بها.

وهكذا، استطاعت هذه الحرفة أن تستمر عبر الأجيال، رغم مختلف التحولات والظروف، إلى غاية يومنا هذا. ومن ثمّ، يجدر بنا العمل على الحفاظ على هذه الحرفة خصوصًا، وعلى باقي الحرف التقليدية عمومًا، لما لها من قيمة ثقافية وحضارية تعكس هوية المجتمع وأصالته.

قائمة المراجع العربية

- القران الكريم

- التهامي، عبد العزيز (عائشة)، النسيج في العالم الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2003م.

- جودت، عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و4هـ / 9 و10م، الجزائر، 1992م.

- خليفة، ربيع حامد، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2001م.

- سعيدوني، ناصر الدين و الشيخ البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- ماهر، سعاد، النسيج الإسلامي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، 1977م.

- نصر، إنصاف؛ الزغبي، كوثر، دراسات في النسيج، دار الفكر العربي، 1993م.

- حنفي، عائشة، الزرابي الجزائرية في القرن 19م: مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية (دراسة أثرية فنية)، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، الجزائر، 1999–2000م.

المراجع الأجنبية

- Anonyme, Exposition de 1899 : Les laines et l'industrie lainière de l'Algérie, Alger, 1889.
- Bel, A. ; Ricard, P., Le travail de la laine à Tlemcen, Librairie de l'Université, Alger, 1913.
- Chantreaux, G., "Le tissage sur métier de haute lisse à Ait Hichem et dans le haut Sébaou", Revue Africaine, Alger, 1941.
- Delaye, A., Notions pratiques de tissage manuel sur métier à hautes lisses, Alger, 1928.
- Gaudry, M., La femme Chaouia de l'Aurès, Paris, 1928.
- Golvin, L., Les arts populaires en Algérie, Tome 1 et 2, Alger, 1953.
- Liorel, J., La Kabylie du Djurdjura, Ernest Leroux Éditeur, Paris.

- Lombard, M., Les textiles dans le monde musulman du 7e au 12e siècle, Paris / New York, Lahaye, 1878.
- Parres, Jh., Étude historique sur la ville d'Aumale depuis sa fondation jusqu'à nos jours, Imprimerie Algérienne, Alger, 1912.
- Ricard, P., Le travail de la laine à Tlemcen, Alger.
- Ricard, P., Pour comprendre l'art musulman en Afrique du Nord et en Espagne, Hachette, Paris, 1924.
- Venture de Paradis, Alger au 18e siècle, édité par E. Fagnan, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898.